آفاق ورؤى مستقبلية لأدب الطفل،
تأثر الكتاب بالعالم الرقمي .. رحلة الكتابة

أ.عزة دياب

عضو اتحاد كتاب مصر، وعضو نادي القصة

رحلة الكتابة واكبت الحضارة منذ فجر التاريخ. النقوش الموجودة على جدران المعابد والآثار دونها الأجداد، تحدثوا عن الصيد والمعارك وتتويج الملوك وتاريخ الأسر لتصل إلينا. من الذي حفظ تلك السير؟! إنها الكتابة، نقوش على الحجر أو خطوط على ورق البردي أو رقع جلدية، ويعد فك رموز حجر رشيد أهم اكتشاف في القرن التاسع عشر، فقد فتح أمام الدنيا صندوق العجب، ممَّا استغلق على العالم من تاريخ الحضارة المصرية القديمة، مشعل الحضارة خلدته الكتابة، وحين فكت الرموز وصلت كل الرسائل، ولا أنسى الفلاح الفصيح وعبقرية الكتابة.

تطورت أدوات الكتابة من عصر لآخر، وارتبطت بالأماكن المزدهرة بالعلم والفلسفة، ما إن يخبو مشعل الحضارة في مكان إلا ويشتعل في مكان آخر، وتستأنف فيه حركة النسخ والترجمة والتدوين، إلى أن جاءت المطبعة في أوروبا في القرن الخامس عشر ليتدفق الإبداع بأشكال جديدة، فقد انفتح المجال أمام الصحف الدوريات الثقافية والعلمية، والكتب والمجلدات التي كانت تأخذ الشهور في نسخها باتت بوجود المطبعة متاحة.

وصلت المطبعة مصر مع حملة نابليون سنة (١٧٩٨م)، ومضت رحلة الكتابة ترافق النضال الشعبي في الثورات بالمنشورات التي تفتح الوعي الجماهيري، بالكتابة الصحفية هي الأخرى تواصل كفاحها من مصر والشام والعراق مواكبة حركة تحرر البلاد العربية من الاحتلال الإنجليزي والفرنسي.

وتظل الكتابة في رحلتها صحفية إبداعية دراسية علمية نقدية، تفتح الآفاق وتسجل رحلة البشرية الحضارية.

جاءت محطة جديدة لا تقل أهمية عن المطبعة وما ترتب عليها من ازدهار الكتابة، وصلت الكتابة إلى محطة الحاسوب، وبدون كثير من الوقت وُضِعت الآلة الكاتبة في المتحف بجوار الريشة، ودخل الحاسوب إلى الدواوين والجامعات والبيوت، وخصصت له المحاضرات والدورات التدريبية والمعاهد، وكما كانت مادة الآلة الكاتبة تدرس في المداس

والمعاهد، أصبح الحاسب الآلي مادة تدرس في المدارس ومراحل التعليم المختلفة، تفوق الحاسوب على الآلة الكاتبة، فقد باتت له الحظوة والتفضيل داخل البيوت، واستحوذ على لب الصغار والكبار.

ما يهمنا هنا هو الكتابة الإبداعية، وموضوعنا عن تأثر الكتاب بالحاسوب والعالم الرقمي، جاءت أجيال من الكمبيوتر متتالية وسريعة من (لاب توب)، فـ (آي باد)، فالهواتف الذكية، وصارت في متناول اليد. كيف تأثر الكاتب وهو يضغط أزرار الكيبورد، وبعدها يلمس شاشة التابلت أو الهاتف، وهو يدون أفكاره أو يختار الخط المناسب لقصته، أو يراجع ما كتب نحويًا وإملائيًا؟ كيف يرى المبدع هذا الجهاز في عيني طفل؟ هل يريده أن يتجنبه أم يقلل من التعامل معه؟ هل يكتفي بالنصيحة وهو لا يستطيع الاستغناء عن هاتفه؟

النصوص المطروحة:

- قصة (الكمبيوتر)، للكاتب السوري سامر أنور الشمالي، قصة مخطوطة.
- قصة (مزرعة غيداء دومًا سعيدة)، للكاتبة انتصار عبد المنعم، وهي من إصدارات دار أصالة اللبنانية.
- مسرحية (سمير وحقيبة الأساطير)، للكاتب محمود عقاب، وهي فائزة بالقائمة القصيرة لجائزة راشد بن حمد الشرقي للإبداع ٢٠١٩.
- مسرحية (مظلة الأحلام)، وهي لكاتبة هذا المقال عزة دياب، والمسرحية تحت الطبع من دار ميم للنشر والتوزيع.

رصد ظاهرة تعلق الطفل بالحاسوب

تناول سامر أنور الشمالي في قصته (الكمبيوتر)، وهي موجهة لسن (من ١٠ - ١٤ سنة) بأسلوب سلس وسهل، حكاية الطفل حازم الذي يجلس أمام الكمبيوتر بالساعات، وقد أثار دهشة الأسرة؛ لأنه لا يجلس معهم أو يشاركهم الحديث أو الطعام، ويتعلل بأن لديه ما يريد إنجازه أمام شاشة الكمبيوتر، أثناء حديثه معهم يكون منصرفًا كليًا عنهم، ويكون تركيزه مصوبًا إلى الشاشة، وأصابعه مشغولة بضغط أزرار الكيبورد، تحاول أمه أن تأخذه من أمام الشاشة، فيطلب منها أن تعد له وجبة يتناولها أمام الكمبيوتر، قرر والده أن يصحب الأسرة

كلها في فسحة إلى شاطئ البحر، وأكد على حازم ضرورة مرافقة الأسرة في نزهتها، وافق حازم وطلب التأجيل ليوم واحد، اندهشت الأسرة حين حمل حازم الكمبيوتر وخرج به من البيت، ورد على دهشتهم بأنه سيبيعه، عاد ومعه (لاب توب) كمبيوتر محمول، وهنا أدرك الأب أن الكمبيوتر قد أخذ ابنه حتى في الفسحة، يوضح سامر في قصته مدى تعلق الطفل بالشاشة التي تستجيب لطلباته، وتحقق له خصوصية يشعر بها؛ ولذلك يزيد تعلقه أكثر بالأجهزة الذكية باختلاف أجيالها. وبعيدًا عن قصة سامر أنور الشمالي فإن الأهل يتدخلون بالتنمر والعنف الإلكتروني بالتهديد بقطع النت عن الأجهزة، وهم يعرفون أنه عقاب قاس.

التوجيه التربوي في القصة

في قصة (مزرعة غيداء دومًا سعيدة)، للكاتبة انتصار عبد المنعم، وهي من إصدارات دار أصالة، تحدثنا الكاتبة عن لعبة المزرعة السعيدة التي تلعبها غيداء وتجني المحصول والدجاجات والخراف، يضيع الوقت أمام الشاشة والأرباح الافتراضية تتراكم، سيطرت اللعبة على غيداء وأهملت الرسم، وأقيم معرض نهاية العام بدون المشاركة بلوحة كما تعودت من قبل، ولم تعد تهتم بمرافقة زميلاتها إلى المكتبة العامة، قطع النت ولم يعد متاحًا معرفة أرباحها أو دخول الفيس بوك، استمر قطع النت لعدة أيام، وغيداء هي الأخرى مقطوعة الصلة بمزرعتها، جاء دور الأم في توجيه ابنتها للاعتناء بحديقة البيت وبعصافير الكناري وبالسلحفاة، نظرت غيداء حولها، وجدت حديقتها بالأشجار والعصافير والسلحفاة، حين عاد النت بحثت عن كيفية للاعتناء بالعصافير الكناري، وبحثت أيضًا عن طريقة لزراعة أشجار جديدة في الحديقة تناسب البيئة والطقس، وهنا التوجيه الصحيح، لم تلغ وجود الكمبيوتر، لكنها استخدمته لتبحث عن معلومات تستفيد منها في مزرعتها الحقيقية، حافظت انتصار في قصتها على حدود دقيقة لما نخلط بينها، أوضحت ما هو افتراضي لا يوصل إلا إلى ضياع الوقت، وما هو فعلي وحقيقي، ويجدر بنا أن نهتم به، ولا نهمل الدور المهم للمعلومات التي يأتي بها الجهاز بنقر زر البحث. من أحب القصص التي لمست عالم ألعاب الفيس بوك هذه القصة؛ لأنها بسيطة، وتعيد الطفلة إلى النظر حولها؛ لتكتشف مزرعتها الحقيقية.

التراث وكيف يتعامل مع العالم الرقمي

مسرحية (سمير وحقيبة الأساطير)، للكاتب محمود عقاب، وهي من ضمن القائمة القصيرة في جائزة راشد بن حمد الشرقي للإبداع ٢٠١٩، المسرحية من عنوانها سمير

تحتوي حقيبته الأساطير، هل الحقيبة بها كتب ورقية؟! هنا سؤال يطرحه العنوان، تبدأ المسرحية بداية عادية لولد يتيم تجبره زوجة أبيه على العمل في محل فول وطعمية، وفي المخزن يجد مجموعة كتب يقضي معها الوقت في القراءة، الكتب التي سيلف فيها الباذنجان المقلو والفلافل، ماذا يفعل لينقذها من الهلاك؟ أخفاها بعيدًا، وكل لية عندما ينتهي من عمله يعود إلى الكتب: علي بابا وخادم المصباح، وعلاء الدين، يدخل إلى عالمهم، ويمنحونه جائزة ذهبية، وشرط التمتع بها هو مكوثه معهم في عالم الأساطير، بعض وقت قليل يشتاق إلى مدرسته وبيته، فيودعهم ويعود إلى حياته ومدرسته، ويقدم اختراع لجهة المخترع الصغير، وهو عبارة عن حقيبة إلكترونية بها قصص الأساطير، كل الكتب التي قرأها ويخاف عليها من الهلاك في المحلات والمخازن، بعيدًا عن اهتمام الناس وتقديرهم، فاز اختراع سمير بجائزة المخترع الصغير، وعاملت زوجة الأب سمير باحترام وتقدير؛ نظرًا لنبوغه.

المهم في المسرحية هو تركيزها على تحويل كتب التراث إلى كتب رقمية؛ حتى يسهل الحصول عليها، بنقر زر تنفتح كتب التراث، ولا تحتاج إلى البحث عند تجار الكتب القديمة، أو البحث في المكتبات الكبيرة عن طبعات حديثة أو قديمة، وأن يلتفت إلى ذلك طفل فهو يلفت نظر الأطفال إلى الاهتمام بكتب التراث؛ لأنها تمنح بُعدًا ثقافيًا ضاربًا في جذور الشخصية، والطفل هو شاب الغد الواعي، والعارف لثقافته وهويته، وماذا يفعل مع كتبه التراثية؟ رأى أن يحفظها ويجعلها متاحة بسهولة للاطلاع والمعرفة.

الدخول إلى التطبيقات

مسرحية (مظلة الأحلام)، لعزة دياب، وهي تحت الطبع، تتناول حكاية تطبيق ، شاشة المسرح عبارة عن شاشة موبايل، في منتصفها مظلة، أعلاها ساعة، حين يدخلها اللاعب يحرك العقرب، وحين يتحرك كان عليه أن يعطي معلوماته الشخصية، ويرسل دعوات للأصدقاء، يدخل الاطفال بالتتابع: حسام، وزياد، وهنا تدور اللعبة عارضة تاريخ تطور أجهزة الراديو والتليفون والتلفزيون، وأجيال متتابعة لهذه الأجهزة التي كانت البداية معها في التواصل عبر العالم، عندما يدخل زياد يتعطل كرسِيُّه الذي يعمل بالريموت، وعندما تصل عقارب الساعة إلى وضعها مع تطور الأجهزة الإلكترونية يعود الريموت للعمل،

ويتحرك بكرسيه بسهولة، وقبل النهاية يكون لهم توصيات يقدمونها، وبعد ذلك يفصل الشحن عن الموبايل وتظلم الشاشة.

الدخول للتطبيق ماذا منحهم؟، إنهم لم يستطيعوا الهروب بالأجيال المتقدمة من الأجهزة؛ لأن اللعبة أو التطبيق له نظام خاص لا يجوز الخروج عليه، ولا بد من الموافقة على شروط التطبيق وإلا ستخرج منه، وماذا لو تحرك عقرب الساعة إلى الناحية الأخرى؟ هل سيصل التطبيق بنا إلى القمر أو الكواكب الأخرى القريبة والبعيدة عن كوكبنا؟.

تأثر الكتاب بالعالم الرقمي كثيرًا؛ لأنه سهَّل عليهم البحث عن الكتب النقدية والروايات العالمية، ومنح أعمالهم نشرة إلكترونية يسهل معها الاتصال بين الكتَّاب، والاستفادة بآراء الكتاب الكبار والنقاد، وقد بدا العالم قريبًا جدًا؛ بالتالي ظهرت أدوات وتقنية الكتابة في كتابات الكتاب، وقد قربهم الاتصال عن بعد، ليقتربوا من الطفل أكثر بالكتابات المشوقة والغنية بالمعلومات.